

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١٠-١-١٤٠٢ سورة النمل ٦

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَ
كِتَابٍ مُبِينٍ (١)

طس

سورة النمل

هُدًى وَ بُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ (٢)

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

سورة النمل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ (٤)

سورة النمل

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَ
 هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
 الْأَخْسَرُونَ (٥)

سورة النمل

وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)

سورة النمل

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧)

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨)

سورة النمل

يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (٩)

سورة النمل

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهُهَا جَانٌّ وَلِيٌّ مُّذَبِّرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ
لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠)

سورة النمل

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوِّءٍ فَأَنَّى غُفُورٌ رَّحِيمٌ (١١)

سورة النمل

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ
آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا
هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣)

سورة النمل

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

سورة النمل

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ (١٥)

سورة النمل

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَ قَالَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ
وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)

سورة النمل

وَ حُثِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ
وَ الْأَنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ (١٧)

سورة النمل

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ
قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ
جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)

سورة النمل

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَ قَالَ رَبِّ
 أَوْزِ عَنِّي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَن
 أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَ ادْخُلْنِي
 بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى
الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠)

سورة النمل

لَا عَذِيبَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذِيبُهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا
لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ
يَقِينٍ (٢٢)

سورة النمل

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَ
أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)

سورة النمل

وَجَدْنَاهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَغْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)

سورة النمل

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَ مَا
تُغْلِنُونَ (٢٥)

سورة النمل

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ (٢٦)

سورة النمل

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)

سورة النمل

اَذْهَبْ بِكُتُبِي هَذَا فَأَلْقِهَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ
تَوَلَّ عَنْهُمْ فَإِنَظِرُوا مَاذَا
يَرْجِعُونَ (٢٨)

اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ إِلَىٰهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ

- قوله تعالى: «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ إِلَىٰهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» حكاية قول سليمان خطاباً للهدد كأنه قيل: فكتب سليمان كتاباً ثم قال للهدد:

اذهب بكتبي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ما ذا يرجعون

- اذهب بكتابي هذا إليهم أى إلى ملكة سبا و ملئها فألقه إليهم ثم تول عنهم أى تنح عنهم وقع فى مكان تراههم فانظر ما ذا يرجعون أى ما ذا يرد بعضهم من الجواب على بعض إذا تكلموا فيه.
- و قوله: «فَأَلْقَهُ» بسكون الهاء وصلا و وقفا فى جميع القراءات و هى هاء السكت، و مما قيل فى الآية: إن قوله «ثم تول عنهم فانظر» إلخ، من قبيل التقديم و التأخير و الأصل فانظر ما ذا يرجعون ثم تول عنهم: و هو كما ترى.

سورة النمل

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ
كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ
كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

- قوله تعالى: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في الكلام حذف وإيجاز و التقدير فأخذ الهدد الكتاب و حمله إلى ملكة سبأ حتى إذا أتاها ألقاه إليها فأخذته و لما قرأته قالت لملئها و أشراف قومها يا أيها الملأ «إلخ».

سورة النمل

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ
كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَٓ إِلَىٰ ۚ كِتَابٍۭ كَرِيْمٍۭ

- فقلوه: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا إِنِّىٓ أُلْقِىَٓ إِلَىٰ ۚ كِتَابٍۭ كَرِيْمٍۭ» حكاية ذكرها لملئها أمر الكتاب و كيفية وصوله إليها و مضمونه، و قد عظمتها إذ وصفته بالكرم.

سورة النمل

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- و قوله: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ظاهره أنه تعليل لكون الكتاب كريماً أى و السبب فيه أنه من سليمان و لم يكذب يخفى عليها جبروت سليمان و ما أوتيته من الملك العظيم و الشوكة العجيبة كما اعترفت بذلك فى قولها على ما حكاه الله بعد: «وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ».

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- «وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: أى الكتاب باسمه تعالى فهو كريم لذلك وَاَلْوَثْنِيُونَ جميعاً قائلون بالله سبحانه يروونه رب الأرباب و إن لم يعبدوه، و عبدة الشمس منهم و هم من شعب الصابئين يعظمونه و يعظمون صفاته و إن كانوا يفسرون الصفات بنفى النقائص و الأعدام فيفسرون العلم و القدرة و الحياة و الرحمة مثلاً بانتفاء الجهل و العجز و الموت و القسوة فكون الكتاب باسم الله الرحمن الرحيم يستدعى كونه كريماً، كما أن كونه من سليمان العظيم يستدعى كونه كريماً، و على هذا فالكتاب أى مضمونه هو قوله: «أَلَا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ» و أن مفسرة.

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- و من العجيب ما عن جمع من المفسرين أن قوله: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: ممن الكتاب وما ذا فيه فقالت: إنه من سليمان إلخ، و على هذا يكون قوله: وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ بياناً للكتاب أى لمتنه و أن الكتاب هو «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ».

• و يتوجه عليهم

- **أولاً:** وقوع لفظة «أن» زائدة لا فائدة لها و لذا قال بعضهم: إنها مصدرية و «لا» نافية لا ناهية و هو وجه سخيف كما سيأتى.

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- و ثانيا: بيان الوجه في كون الكتاب كريما
- ف قيل: وجه كرامته أنه كان مختوما ففي الحديث: إكرام الكتاب ختمه
- حتى ادعى بعضهم أن معنى كرامة الكتاب ختمه، يقال: أكرمت الكتاب فهو كريم إذا ختمته، و قيل: إنها سمتة كريما لجودة خطه و حسن بيانه، و قيل: لوصوله إليها على منهاج غير عادي، و قيل: لظنها بسبب إلقاء الطير أنه كتاب سماوى إلى غير ذلك من الوجوه.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ

- و أنت خير بأنها تحكمات غير مقنعة، و الظاهر أن الذي أوقعهم فيما وقعوا حملهم قوله: «وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ - إِلَى قَوْلِهِ - مُسْلِمِينَ» على حكاية متن الكتاب و ذلك ينافي حمل قوله: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ» إلخ، على تعليل كرامة الكتاب

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓءَا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ

- و يدفعه أن ظاهر أن المفسرة في قوله: «أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ» إلخ، أنه نقل لمعنى الكتاب و مضمونه لا حكايةً متنه فمحصل الآيتين أن الكتاب كان مبدواً بيسم الله الرحمن الرحيم و أن مضمونه النهى عن العلو عليه و الأمر بأن يأتوه مسلمين فلا محذور أصلاً.

سورة النمل

أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُُونِي
مُسْلِمِينَ (٣١)

أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ

- قوله تعالى: «أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ» أن مفسره تفسر مضمون كتاب سليمان كما تقدمت الإشارة إليه.
- و قول بعضهم: إنها مصدرية و «لا» نافية أى عدم علوكم على، سخيـف لاستلزامه أولاً: تقدير مبتدأ أو خبر محذوف من غير موجب، و ثانياً: عطف الإنشاء و هو قوله: «و أَتُونِي» على الإخبار.

أَلَّا تَعْلُوا عَلَىٰ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ

- والمراد بعلوهم عليه، استكبارهم عليه، و بقوله: «وَآتُونِي مُسْلِمِينَ» إسلامهم بمعنى الانقياد على ما يؤيده قوله: «أَلَّا تَعْلُوا عَلَىٰ» دون الإسلام بالمعنى المصطلح و هو الإيمان بالله سبحانه و إن كان إتيانهم منقادين له يستلزم إيمانهم بالله على ما يستفاد من سياق قول الهدهد و سياق الآيات الآتية، و لو كان المراد بالإيمان المعنى المصطلح كان المناسب له أن يقال: أن لا تعلوا على الله.

أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ

- وكون سليمان ع نبيا شأنه الدعوة إلى الإسلام لا ينافي ذلك فإنه كان ملكا رسولاً و كانت دعوته إلى الانقياد المطلق تستلزم ذلك كما تقدم و قد انتهت إلى إسلامها لله كما حكى الله تعالى عنها «أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

سورة النمل

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓاْ أَفْتُونِي فِي
أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُوْنَ (٣٢)

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون

- قوله تعالى: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون» الإفتاء إظهار الفتوى و هي الرأى، و قطع الأمر القضاء به و العزم عليه و الشهادة الحضور و هذا استشارة منها لهم تقول: أشيروا على فى هذا الأمر الذى واجهته و هو الذى يشير إليه كتاب سليمان - و إنما أستشيركم فيه لأنى لم أكن حتى اليوم أستبد برأى فى الأمور بل أقضى و أعزم عن إشارة و حضور منكم.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ

- فالآية تشير إلى فصل ثان من كلامها مع ملئها بعد الفصل الأول الذي أخبرتهم فيه بكتاب سليمان ع و كيفية وصوله و ما فيه.

سورة النمل

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَ أَوْلُوا
بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَ أَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَ
الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ

- قوله تعالى: «قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَ أَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ» القوة ما يتقوى به على المطلوب و هي هاهنا الجند الذي يتقوى به على دفع العدو و قتاله، و البأس الشدة في العمل و المراد به النجدة و الشجاعة.

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَ
الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ

- والآية تتضمن جواب الملا لها يسمعونها أولا ما يطيب له نفسها و يسكن به قلقها ثم يرجعون إليها الأمر يقولون طيبى نفسا و لا تحزنى فإن لنا من القوة و الشدة ما لا نهاب به عدوا و إن كان هو سليمان ثم الأمر إليك مرى بما شئت فنحن مطيعوك.

سورة النمل

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا
أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ
جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ

- قوله تعالى: «قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَ كَذَالِكَ يَفْعَلُونَ» إفساد القرى تخريبها و إحراقها و هدم أبنيتها، و إذلال أعزة أهلها هو بالقتل و الأسر و السبي و الإجلاء و التحكم.

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ
جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ

- كان رأيها على ما يستفاد من هاتين الآيتين --- زيادة التبصر في أمر سليمان ع بأن ترسل إليه من يختبر حاله و يشاهد مظاهر نبوته و ملكه فيخبر الملكة بما رأى حتى تصمم هي العزم على أحد الأمرين: الحرب أو السلم و كان الظاهر من كلام الملا «حيث بدءوا في الكلام معها بقولهم نحن أولو قوة و أولو بأس شديد، أنهم يميلون إلي القتال لذلك أخذت أولاً تدم الحرب ثم نصت على ما هو رأيها فقالت: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» إلخ، أى إن الحرب لا تنتهى إلا إلى غلبة أحد المتحاربين و فيها فساد القرى و ذلة أعزتها فليس من الحزم الإقدام عليها مع قوة العدو و شوكته مهما كانت إلى السلم و الصلح سبيل إلا لضرورة و رأى الذى أراه أن أرسل إليهم بهدية ثم أنظر بما ذا يرجع المرسلون من الخير و عند ذلك أقطع بأحد الأمرين الحرب أو السلم. فقولها: «إن الملوك إذا دخلوا» إلخ، توطئة لقوله بعد: «و إني مرسله إليهم بهدية فناظرة» إلخ.

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ
جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ

- و قوله: «وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» أبلغ و أكد من قولنا مثلاً: استذلوا أعزتها لأنه مع الدلالة على تحقق الذلة يدل على تلبسهم بصفة الذلة.
- و قوله: «وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ» مسوق للدلالة على الاستمرار بعد دلالة قوله: «أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» على أصل الوقوع، و قيل: إن الجملة من كلام الله سبحانه لا من تمام كلام ملكة سبا و ليس بسديد إذ لا اقتضاء في المقام لمثل هذا التصديق.

سورة النمل

وَإِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ
فَنَظِيرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ
الْمُرْسَلُونَ (٣٥)

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ

- قوله تعالى: «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»
أى مرسله إلى سليمان و هذا نوع من التجبر و الاعتزاز الملوکی
تصون لسانها عن اسمه و تنسب الأمر إليه و إلى من معه جميعا و
أيضا تشير به إلى أنه يفعل ما يفعل بأیدی أعضاده و جنوده و إمداد
رعيته.

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ

- و قوله: «فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ» أى حتى أعمل عند ذلك بما تقتضيه الحال و هذا - كما تقدم - هو رأى ملكة سبا و يعلم من قوله: «الْمُرْسَلُونَ» أن الحامل للهدية كان جمعا من قومها كما يستفاد من قول سليمان بعد: «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» أنه كان للقوم المرسلين رئيس يرأسهم.

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ
بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا
 ءَاتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ
 تَفْرَحُونَ (٣٦)

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ

- قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» ضمير جاء للمال الذى أهدى إليه أو للرسول الذى جاء بالهدية.
- والاستفهام فى قوله: «أ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ» للتوبيخ و الخطاب للرسول و المرسل بتغليب الحاضر على الغائب، و توبيخ القوم من غير تعيين الملكة من بينهم نظير قولها فيما تقدم: «و إِنْى مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ» كما أشرنا إليه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِي
اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ

- و جوز أن يكون الخطاب للمرسلين و كانوا جماعة و هو خطأ فإن الإمداد لم يكن من المرسلين بل ممن أرسلهم فلا معنى لتوجيه التوبيخ إليهم خاصة، و تنكير المال للتحقير، و المراد بما آتاني الله الملك و النبوة.
- و المعنى: أ تمدونني بمال حقير لا قدر له عندي في جنب ما آتاني الله فما آتاني الله من النبوة و الملك و الثروة خير مما آتاكم.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَنِي
اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ

- و قوله: «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» إضراب عن التوبيخ بإمداده بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم أى إن إمدادكم إياي بمال لا قدر له عندي فى جنب ما آتاني الله قبيح و فرحكم بهديتكم لاستعظامكم لها و إعجابكم بها أقبح.
- و قيل: المراد بهديتكم الهدية التى تهدي إليكم، و المعنى: بل أنتم تفرحون بما يهدى إليكم من الهدية لحبكم زيادة المال و أما أنا فلا أعتد بمال الدنيا هذا. و بعده ظاهر.

سورة النمل

اَزْجِعَ اِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا
قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا
اَذِلَّةً وَ هُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَ
لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ

- قوله تعالى: «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ» الخطاب لرئيس المرسلين، و ضمائر الجمع راجعة إلى ملكة سبأ و قومها، و القبل الطاقة، و ضمير «بها» لسبأ، و قوله: «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأكيد لما قبله، و اللام في «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ» و «لَنُخْرِجَنَّهُمْ» للقسم.

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَ
لَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ

• لما كان ظاهر تبديلهم امتثال أمره - و هو قوله: «وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ» من إرسال الهدية هو الاستنكاف عن الإسلام قدر بحسب المقام أنهم غير مسلمين له فهددهم بإرسال جنود لا قبل لهم بها و لذلك فرع إتيانهم بالجنود على رجوع الرسول من غير أن يشترطه بعدم إتيانهم مسلمين فقال: «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم» إلخ، و لم يقل: ارجع فإن لم يأتوني مسلمين فلنأتينهم إلخ، و إن كان مرجع المعنى إليه فإن إرسال الجنود و إخراجهم من سبأ على حال الذلة كان مشروطا به على أى حال.

• و السياق يشهد أنه ع رد إليهم هديتهم و لم يقبلها منهم.

سورة النمل

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ (٣٨)

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ

- قوله تعالى: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» كلام تكلم به بعد رد الهدية و إرجاع الرسل، و فيه إخباره أنهم سيأتونه مسلمين و إنما أراد الإتيان بعرشها قبل حضورها و قومها عنده ليكون دلالة ظاهرة على بلوغ قدرته الموهوبة من ربه و معجزة باهرة لنبوته حتى يسلموا لله كما يسلمون له و يستفاد ذلك من الآيات التالية.

سورة النمل

قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنَّ أَنَا ءَاتِيكَ
بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَ
إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ (٣٩)

قَالَ عَفَرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ

- قوله تعالى: «قَالَ عَفَرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» **العفريت** - عَلَى مَا قِيلَ - **المأرد** **الخبث**، وقوله: «آتِيكَ بِهِ» اسم فاعل أو فعل مضارع من الإتيان، و الأول أنسب للسياق لدلالته على التلبس بالفعل و كونه أنسب لعطف قوله: «وَإِنِّي عَلَيْهِ» إلخ، و هو جملة اسمية عليه. كذا قيل.
- وقوله: «وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» الضمير للإتيان أي أنا للإتيان بعرشها لقوي لا يثقل على حملة و لا يجهدني نقله أمين لا أخونك في هذا الأمر.

سورة النمل

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ
 بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ
 مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي
 لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَن شَكَرَ
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي
 غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٢٠)

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ

- قوله تعالى: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ» مقابله لمن قبله دليل علي أنه كان من الأنس، وقد وردت الروايات عن أئمة أهل البيت ع أنه كان **آصف بن برخيا** وزير سليمان و وصيه، و قيل: هو **الخضر**، و قيل: **رجل كان عنده اسم الله الأعظم** الذي إذا سئل به أجاب و قيل: جبرئيل، و قيل: هو **سليمان** نفسه، و هي وجوه لا دليل على شيء منها.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

- و أيا ما كان و أى من كان ففصل الكلام مما قبله من غير أن يعطف عليه للاعتناء بشأن هذا العالم الذى أتى بعرشها إليه فى أقل من طرفه العين، و قد اعتنى بشأن علمه أيضا إذ نكر ف قيل: **عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَى علم لا يحتمل اللفظ وصفه.**

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

- و المراد بالكتاب الذى هو مبدأ هذا العلم العجيب إما جنس الكتب السماوية أو اللوح المحفوظ، و العلم الذى أخذه هذا العالم منه كان علما يسهل له الوصول إلى هذه البغية و قد ذكر المفسرون أنه كان يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أجاب،
- و ربما ذكر بعضهم أن ذلك الاسم هو **الحى القيوم**، و قيل: **ذو الجلال والإكرام**، و قيل: **الله الرحمن**، و قيل: هو بالعبرانية **آهيا شراهيا**، و قيل: إنه دعا بقوله: **يا إلهنا و إله كل شىء إلهنا واحدا لا إله إلا أنت ائتنى بعرشها**. إلى غير ذلك مما قيل.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

- و قد تقدم فى البحث عن الأسماء الحسنى فى الجزء الثامن من الكتاب أن من المحال أن يكون الاسم الأعظم الذى له التصرف فى كل شىء من قبيل الألفاظ و لا المفاهيم التى تدل عليها و تكشف عنها الألفاظ بل إن كان هناك اسم له هذا الشأن أو بعض هذا الشأن فهو حقيقة الاسم الخارجية التى ينطبق عليها مفهوم اللفظ نوعاً من الانطباق و هى الاسم حقيقة و اللفظ الدال عليها اسم الاسم.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

- و لم يرد فى لفظ الآية نبأ من هذا الاسم الذى ذكروه بل الذى تتضمنه الآية أنه كان عنده علم من الكتاب، و أنه قال: أَنَا آتِيكَ بِهِ، و من المعلوم مع ذلك أن الفعل فعل الله حقيقة، و بذلك كله يتحصل أنه كان له من العلم بالله و الارتباط به ما إذا سأل ربه شيئاً بالتوجه إليه لم يتخلف عن الاستجابة و إن شئت فقل: إذا شاءه الله سبحانه.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

- و يتبين مما تقدم أيضا أن هذا العلم لم يكن من سنخ العلوم الفكرية التي تقبل الاكتساب و التعلم.

أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ

- و قوله: «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» **الطرف** - على ما قيل - **اللحظ و النظر و** ارتداد الطرف وصول المنظور إليه إلى النفس و علم الإنسان به، فالمراد أنا آتيك به في أقل من الفاصلة الزمانية بين النظر إلى الشيء و العلم به.
- و قيل: الطرف تحريك الأجفان و فتحها للنظر، و ارتداده هو انضمامها و لكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد فقيل: قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ و لم يقل: قبل أن يرد. هذا.

أَنَا عَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ

- و قد أخطأ فالطرف كالتنفس من أفعال الإنسان الاختيارية غير أن الذى يبعث إليه هو الطبيعة كما فى النفس و لذلك لا يحتاج فى صدوره إلى ترو سابق كما يحتاج إليه فى أمثال الأكل و الشرب، فالفعل الاختيارى ما يرتبط إلى إرادة الإنسان و هو أعم مما سبقه التروى، و الذى أوقع هذا القائل فيما وقع ظنه التساوى بين الفعل الصادر عن اختيار و الصادر عن ترو، و لعل النكتة فى إثارة الارتداد على الرد هى أن الفعل لعدم توقفه على التروى كأنه يقع بنفسه لا عن مشية من لاحظ.

أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ

- و الخطاب في قوله: «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» لسليمان ع فهو الذي يريد الإتيان به إليه و هو الذي يراد الإتيان به إليه.

أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ

• و قيل: الخطاب للعفريت القائل: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ و المراد بالذى عنده علم من الكتابَ عِنْدَ هَذَا الْقَائِلِ هُوَ سَلِيمَانُ، و إنما قاله له إظهاراً لفضل النبوة و أن الذى أقدره الله عليه بتعليمه علماً من الكتاب أعظم مما يتبجح به العفريت من القدرة، فالمعنى: قال سليمان للعفريت لما قال ما قال: أَنَا آتِيكَ بِالْعَرْشِ قَبْلَ ارْتِدَادِ طَرْفِكَ.

• و قد أصر فى التفسير الكبير، على هذا القول و أورد لتأييده وجوهاً و هى وجوه رديئة و أصل القول لا يلائم السياق كما أومأنا إليه.

فلما رآه مستقراً عنده قال هاذا من فضل ربي
ليبلونى ء أشكر أم أكفر و من شكر فإنما
يشكر لنفسه و من كفر فإن ربي غنى كريم

- قوله تعالى: «فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي» إلى آخر الآية، أى لما رأى سليمان العرش مستقراً عنده قال هذا، أى حضور العرش و استقراره عندى فى أقل من طرفة العين من فضل ربي من غير استحقاق منى ليبلونى أى يمتحننى أ أشكر نعمته أم أكفر و من شكر فإنما يشكر لنفسه أى يعود نفعه إليه لا إلى ربي و من كفر فلم يشكر فإن ربي غنى كريم - و فى ذيل الكلام تأكيد لما فى صدره من حديث الفضل -.

فلما رآه مستقرا عنده قال هاذا من فضل ربي
ليبلونى ء أشكر أم أكفر و من شكر فإنما
يشكر لنفسه و من كفر فإن ربي غنى كريم

- و قيل: المشار إليه بقوله «هذا» هو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات.
- و فيه أن ظاهر قوله: «فلما رآه مستقرا عنده قال» إلخ، إن هذا الثناء مرتبط بحال الرؤية و الذى فى حال الرؤية هو حضور العرش عنده دون التمكن من الإحضار الذى كان متحققا منذ زمان.
- و فى الكلام حذف و إيجاز، و التقدير فأذن له سليمان فى الإتيان به كذلك فأتى به كما قال: «فلما رآه مستقرا عنده» و فى حذف ما حذف دلالة بالغة على سرعة العمل كأنه لم يكن بين دعواه الإتيان به كذلك و بين رؤيته مستقرا عنده فصل أصلا.